وأصبح راعينا بريمة عندنا
بستين أنقيها الأسنة والخلى
فقلت لرب الناب خذها فتية
وناب عليها مثل نابك فى الحيا

الطبقة الثانية

البعيث واسمه خداش بن بشر بن أبى سفيان بن مجاشع ابن دارم. وسمى البعيث بقوله :

تبعث منى ما تبعّث بعد ما أمرّت حبال كل مرتها شزرا

وهو أول شعر قاله . والقُطامىّ واسمه عمير بن شييم بن عمرو أحد بنى بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب . وكثير بن عبد الرحمن الخزاعى وهو ابن أبى جمعة وكنيته أبو صخر وهو عند أهل الحجاز أشعر من كل من قدمنا عليه. وذو الرمة واسمه غيلان بن عقبة أحد بنى عدى بن عند مناة بن أد .

وكان البعيث شاعراً فاخر الكلام حر اللفظ وقد غلبه جرير وأخمله . وكان قد قاوم جريرا فى قصائد ثم ضج الى الفرزدق واستغاثه .

وكان القطامى شاعرا فحلا رقيق الحواشى حلو الشعر والأخطل أبعد منه ذكراً وأمتن شعراً . وكان زفر بن الحارث أسره فى حرب بينهم وبين تغلب فمنّ عليه وأعطاه مائة من الابل ورد عليه ماله فقال القطامى فى كلمة له :

من مبلغ زفر القيسى مدحته ... عن القطامى قولا غير إفناد
فلن أثيبك بالنعماء مشتمة ... ولن أبدل احسانا بافساد
إني وان كان قومى ليس بينهم ... وبين قومك الاضربة الهادى
مثن عليك بما أسلفت من حسن ... وقد تعرض منى مقتل بادى
فان هجوتك ما تمت محافظتي ... وان مدحت لقد أحسنت اصفادى
اذ يعتريك رجال يسألون دمى ... ولو تطيعهم أبكيت عوادى
وإذ يقولون أرضيت العداة بنا ... لا بل قدحت بزند غير صلاد
ولا كردك مالى بعدما كربت ... تبدى الشماتة أعدائى وحسادى
فان قدرت على يوم جزيت به ... والله يجعل أقواماً بمرصاد

قال ابن سلام فلما بلغ زفر قوله : قال لا قدرت على ذلك اليوم.

وقال القطامى يمدحه فى أخرى :

ومن يكن أستلام الى ثوى ... فقد أحسنت يا زفر المتاعا
أأكفر بعد دفع الموت عني ... وبعد عطائك المائة الرتاعا

ولم أر منعمين أقل مناً وأكرم عندما اصطنعوا اصطناعا
من البيض الوجوه بني نفيل أبت أخلاقهم الا اتساعا
بنى القوم الذى علمت معد بفضل فوقهم حسباً وباعا

والقطامي الذى يقول :

ألم يحزنك أن جبال قيس وتغلب قد تباينتا انقطاعا
* أمور ما تدبرها حليم اذاً لنهى وهيب ما استطاعا
ولكن الأديم اذا تفرى بلى وتعيناً غلب الصناعا
ومعصية الشفيق عليك مما يزيدك مرة منه استماعا
وخير الرأى ما استقبلت منه وليس بأن تتبعه اتباعا

وقال يمدح أسماء بن خارجة بن حذيفة بن بدر الفزارى :

اذا مات ابن خارجة بن حصن فلا مطرت على الأرض السماء
ولا رجع البريد بغنم خير ولا حملت على الطهر النساء

وقال فيه أيضاً :

فستعلمين أصادق روّاده عنه وأى فتى فتى غطفانا
وعليك أسماء بن خارجة الذى علم الفعال ورفّع البنيانا

وكان كثير شاعر أهل الحجاز وانهم ليقدمونه على بعض من قدمنا عليه وهو شاعر فحل ولكنه منقوص حظه بالعراق

وسمعت يونس النحوى يقول كان ابن أبى اسحاق يقول كان كثير اشعر اهل الاسلام . قال ابن سلام ورأيت ابن أبى حفصة يعجبه مذهبه فى المديح جداً يقول كان يستقصى المديح وكان فيه مع جودة شعره خطل وعجب وكانت له منزلة عند قريش . قال وقدم على عبد الملك بن مروان الشام فأنشده والأخطل عنده فقال عبد الملك كيف ترى يا أبا مالك قال أرى شعراً حجازيا مقروراً لو ضغطه برد الشام لأضمحل

قال وأخبرنى أبان بن عثمان البجلى قال دخل كثير على عبد الملك فأنشده مدحته وفيها :

على ابن أبى العاصى دلاص حصينة
أجاد المسدى سردها وأذالها

فقال له عبد الملك أفلا قلت كما قال الأعشى لقيس بن معدى كرب:

واذا تجىء كتيبة ملمومة شهباء يخشى الذائدون نهالها
كنت المقدم غير لابس جنة بالسيف تضرب معلما أبطالها

فقال يا أمير المؤمنين وصفه بالخرق ووصفتك بالحزم

أنبأنا أبو خليفة أنبأنا ابن سلام قال أخبرنى عثمان بن عبد الرحمن قال أنشد كثير عبد الملك بن مروان حين أزمع

بالمسير الى مصعب :

اذا ما أراد الغزو لم يثن همه حصان عليها نظم در يزينها
نهته فلما لم تر النهي عاقه بكت وبكي مما شجاها قطينها

فقال عبد الملك والله لكأنه شهد عاتكة بنت يزيد بن معاوية وهي امرأته ام يزيد بن عبد الملك

وقدم كثير على يزيد بن عبد الملك وقد مدحه بقصائد جياد مشهورة فأعجب بهن يزيد وقال له احتكم قال وقد جعلت ذلك الى قال نعم قال مائة ألف . قال ويحك مائة ألف فاستكثرها قال على جود أمير المؤمنين أبغى أم على بيت المال قال مابى استكثارها ولكني أكره أن يقول الناس اعطى شاعراً مائة ألف ولكن فيها عروض قال نعم يا أمير المؤمنين فكان يحضر سمر يزيد ويدخل عليه فقال له ليلة يا أمير المؤمنين ما يعنى الشماخ بقوله :

اذا عرقت مغابنها وجادت بدرتها قرى حجن قتين

قال فسكت عنه يزيد فقال ـ بصبصن اذا حدين ـ ثم أعاد بصبصن اذا حدين ، فقال يزيد وما على أمير المؤمنين ألا يعرف هذا هو القراد أشبه الدّواب بك وكان كثير قصيراً متقارب الخلق فحجب عن يزيد فلم يصل اليه فكلم مسلمة بن عبد الملك يزيد فقال يا أمير

المؤمنين مدحك قال بكم مدحنا قال بسبع قصائد قال فله سبعمائة دينار والله لا أزيده عليها

أخبرنا أبو خليفة أخبرنا ابن سلام حدثنى ابن جعدبه وأبو اليقظان عن جويرية بن أسماء قال مات كثير وعكرمة مولى بن عباس فى يوم واحد فاختلفت قريش فى جنازة كثير ولم يوجد لعكرمة من يحمله. وكان لكثير فى التشبيب نصيب وافر وجميل مقدم عليه فى النسيب وله فى فنون الشعر ماليس لجميل وكان جميل صادق الصبابة . وكان كثير يقول ولم يكن عاشقا وكان راوية جميل وهو القائل :

ألم بعزة ان الركب منطلق ... وان تأتك ولم يلمم بها خرق
قامت تراءى لنا والعين ساجية ... كأن انسانها فى لجة غرق
ثم استدار على أرجاء مقلتها ... مبادر اخلسات الطرف يستبق
كأنه حين مار الماقيان به ... در تحلل من أسلاكه نسق

قال وسمعت الناس يستحسنون من قوله :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما ... تمثل لى ليلى بكل سبيل

قال ابن سلام وسمعت من يطعن عليه يقول ماله يريد ينسى ذكرها : وقوله .

بها العين والأرآم فوضى كأنها ذبال تزكى أو نجوم طوالع
كأن يدى حربائها متشمسا يدا محرم يستغفر الله خاضع

وقوله :

قبلنا صدوراً من حديث كأنه جنى النحل ممزوجاً بماء الوقائع

ومما يعلق عليه :

ترى ابن أبى العاصى وقد صف دونه
ثمانون ألفا قد توافت كهولها
يقلب عينى حية بحارة اذا أمكنته شدة لا يقيلها

قال ابن سلام فقلت لابن أبى حفصة من جودة مديحه هذا جعل دونه ثمانين ألفا وجعله يقلب عينى حية بحارة فقال هذا النابغة قال لملك العرب :

احكم كحكم فتاة الحى إذ نظرت الى حمام شراع وارد الثمد

أمره أن يحكم كحكم فتاة : وقال كثير لعبد الملك بن مروان

وما زالت رقاك تسل ضغنى وتخرج من مضابئها ضبابى
ويرقينى لك الحاوون حتى أجابك حية تحت الحجاب

قال ويقال إن ذا الرمة راوية راعي الإبل ولم يكن له حظ فى الهجاء وكان مغلبا

أخبرنا أبو خليفة أخبرنا ابن سلام قال كان أبو عمرو بن العلاء يقول : إنما شعره نقط عروس يضمحل عن قليل ، وابعار ظباء لها مشم فى أول شمها ثم تعود الى أرواح البعر. وكان هوى ذا الرمة مع الفرزدق على جرير وذلك لما كان بين جرير وابن لجأ التيمى وتيم وعدى اخوان من الرباب وعكل أخوهم ولذلك يقول جرير:

فلا يضغمنّ الليث عكلا بغرة وعكل يشمون الفريس المنيبا

ـ الفريس ـ ههنا ابن لجأ وكذلك يفعل السبع اذا ضغم شاة ثم طرد عنها أو سبقته أقبلت الغنم تشم موضع الضغم فيفترسها السبع وهى تشم ولذلك قال جرير لبنى عدى :

وقلت نصاحة لبني عدى ثيابكم ونضح دم القتيل

أخبرنا أبو خليفة أخبرنا ابن سلام قال أخبرنى أبو يحيى الضبى قال قال ذو الرمة يوما :لقد قلت أبياتا ان لها لعروضاً وان لها لمرادا ومعنيً بعيدا . قال الفرزدق وما قلت قال قلت :

أحين أعازت بى تميم نساءها وجُردت تجريد اليمانى من الغمد

ومدت بضبعىّ الرباب ومالك

وعمرو وشالت من ورائى بنو سعد

ومن آل يربوع زهاء كأنه
زُها الليل محمود النكاية والرفد

فقال له الفرزدق لا تعودن فيها فأنا أحق بها منك . قال والله لا أعود فيها ولا أنشدها أبداً إلا لك وهي قصيدة الفرزدق التي يقول فيها :

وكنا اذا القيسى قبّ عتوده
ضربناه فوق الانثيين على الكرد

ـ الانثيان ـ الاذنان ـ والكرد ـ العنق

أخبرنا أبو خليفة أخبرنا محمد بن سلام حدثني أبو الغراف قال مر ذو الرمة بمنزل لامرئ القيس بن زيد مناة يقال له مرآة به نخل فلم ينزلوه ولم يقروه فقال :

نزلنا وقد طال النهار وأوقدت علينا حصى المغراء شمس تنالها
أنخنا فظللنا بابراد يمنة عتاق وأسياف قديم صقالها
فلما رآنا أهل مرآة أغلقوا مخادع لم ترفع لخير ظلالها

وقد سميت باسم امرئ القيس قرية كرام صواديها لئام رجالها

فلج الهجاء بين ذى الرمة وبين هشام المزنى فمر الفرزدق بذى الرمة وهو ينشد * وقفت على ربع لمية ناقتي * فقال الفرزدق

وألهاك التبكاء فى الدار والعبد يرجز بك فى المقبرة يعني هشاما وكان ذو الرمة مستعليا هشاماً حتى لقى جرير هشاماً فقال غلبك العبد يعنى ذا الرمة قال فما أصنع يا أبا حزرة وأنا راجز وهو يقصد والرجز لا يقوم للقصيد فى الهجاء فلو رفدتني فقال له جرير لتهمته ذا الرمة وميله الى الفرزدق قل له :

غضبت لرهط من عدى تشمسوا
وفى أى يوم لم تشمس رجالها
وفيم عدىٌّ عند تيم من العلا
وأيامنا اللاتى يعد فعالها
وضبة عمى يا ابن حل فلا ترم
مساعى قوم ليس منك سجالها
تماشا عديا لومها لا تجنه
من الناس ما ماشت عديا ظلالها
فقل لعدي تستعن بنسائها
علىّ فقد أعيي عديا رجالها
اذا الرمّ قد قلدت قومك رمة
بطيئاً بأيدى المطلقين أنحلالها

قال ابن سلام فحدثني أبو الفراف قال لما بلغت الأبيات ذا الرمة : قال والله ما هذا بكلام هشام ولكنه كلام ابن الأتان . قال وحدثني أبو البيداء قال لما سمعها قال هو والله شعر حنظلي غدري وغلب هشام على ذى الرمة

أخبرنا أبو خليفة أخبرنا ابن سلام أخبرنا محمد بن أبي عدى الفقيه قال قال ذو الرمة : بلغت نصف عمر الهرم ، وأنا ابن أربعين سنة . قال ولم يبق ذو الرمة بعد ذلك الا قليلا . قالوا وكانوا اخوة ثلاثة غيلان ذو الرمة ، وأوفى ، ومسعود ، فهلك أوفى ثم هلك ذو الرمة فقال مسعود :

* تعزيت عن أوفى بغيلان بعده *

وفى مسعود يقول ذو الرمة :

بل عجبت أخت بني لبيد ... قد هزئت مني ومن مسعود
رأت غلامى سفر بعيد ... يدرعان الليل ذا السرود
مثل أدراع اليامق الجديد ... أمّا بكل كوكب حريد
اذا سهيل لاح كالوقود ... فرداً كشاة البقر المطرود
يا صاحبيّ صوتا بالعود ... وعللاهن بهيد هيد

وفيها يقول : * أشعث باقي رمة التقليد *

وبها سمي ذا الرمة

أخبرنا أبو خليفة أخبرنا محمد بن سلام وحدثني أبو الغراف قال دخل ذو الرمة على بلال بن أبي بردة وكان بلال راوية فصيحاً أديباً فأنشد أبيات حاتم طيئ :

لحى الله صعلوكا مناه وهمه من العيش أن يلقى لبوساً ومطعما
يرى الخمس تعذيباً وإن يلق شبعة يبيت قلبه من قلة الهم مبهما

فقال له ذو الرمة ـ الخمص تعذيباً ـ والخمس للإبل وانما هو خمص البطون فضحك بلال وكان محكا وقال هكذا أنشدنيهما رواة طيئ فرد عليه ذو الرمة فضحك بلال ودخل أبو عمرو بن العلاء فقال له بلال كيف تنشدهما وعرف أبو عمرو الذي به. فقال : كلا الوجهين فقال أتأخذون عن ذي الرمة قال انه لفصيح وانا لنأخذ عنه بتمريض وخرجا من عنده فقال ذو الرمة لأبي عمرو والله لولا اني أعلمك حطبت في حبله وقلت في هواه لهجوتك هجوا لا يقعد اليك بعده اثنان

الطبقة الثالثة من الاسلاميين

كعب بن جُعيل بن قمير التغلبي وعمرو بن احمر بن العمرّد